جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : حادثة شق صدر رسول الله صلى الله عله وسلم وهو صغير

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تعد قضية شق صدر الرسول ﷺ من القضايا الرئيسية في حياة الرسول ﷺ وإعداده الإعداد الإلهي للمهمة العظيمة التي ستلقى عليه وقد أشار إليها الحق عز وجل في القرآن الكريم وتناولها المفسرون في بالبحث والإيضاح وكذا المحدثون والمؤرخون ، إذ قال الله جل شأنه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

تلك الآية العظيمة التي تناولها بالتفسير الترمذي الذي أورد في كتاب التفسير باب من سورة ألم نشرح الحديث الذي يروي حادثة شق الصدر ، وأيد المفسرون توجه الترمذي في ما ذهب إليه هذا الحديث ، وذهبوا مذهب أخر أيضاً ، فيقال "يعني أما شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ ﴾

وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل المراد شرح صدره ليلة الإسراء كما رواه مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا ... ولكن لا منافاة فإن من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الإسراء ومن نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً " ، ومفسر أخر أيد الشرح المعنوي بقوله "هي توحي بأن هناك ضائقة كانت في روح الرسول ﷺ لأمر من أمور هذه الدعوة التي كلفها ، ومن العقبات الوعرة في طريقها ، ومن الكيد والمكر المضروب حولها ، توحي بأن صدره ﷺ كان مثقلاً بهموم هذه الدعوة الثقيلة ، وانه كان يحس العبء فادحاً على كاهله ، وأنه كان في حاجة إلى عون ومدد وزاد ورصيد ، ثم كانت هذه المناجاة الحلوة ... ألم نشرح صدرك لهذه الدعوة ؟ ونيسر لك أمرها ؟ ... فتش في صدرك ألا تجد فيه الروح والانشراح والإشراق والنور" .

عموماً فقد حَدَثَ لرسول الله ﷺ أكثر من حادثة لشق الصدر ، الأولى عندما كان مسترضعا في بني سعد والثانية عند رحلة الإسراء أو عند رحلة المعراج، وعليه سنستعرض الروايات الخاصة بهذه المسألة على زمنين الأول وهو صغير والآخر وهو كبير .

حادثة شق الصدر وهو صغير .

بعد القراءة الدقيقة للمصادر ذات الشأن تبين أن نقطة انطلاق المحدَّثين في الصحاح للكلام عن أحداث السيرة النبوية (حياة رسول الله ﷺ) كانت من هذه الحادثة ، علماً أن هذا الزمن لا يبعد كثيراً عن المولد بسنتين أو تزيد قليلاً ، فهذا مسلم بن الحجاج يفتتح الكلام عن أحداث السيرة النبوية بذكره رواية واحدة عن شق الصدر وهو صغير مؤداها : " إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ، يعني ظئره فقالوا إنَّ محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع

اللون ، قال أنس وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره" ، ومن فحص متن الحديث آنف الذكر يبدو أن أنس بن مالك راوي الحديث لم يحدث عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد ممن شاهد الحادثة ؛ كون أنس من أهل المدينة المنورة ، ولم يلتقي برسول الله ﷺ إلا بعد الهجرة وكان عمره يومئذ قريب من عشر سنوات ، أي بعد أكثر من خمسين سنة من الحادثة ، وقوله أرى أثر المخيط في صدره لا يجزم بتحديث انس مباشرة عن رسول الله ﷺ بشأن هذه الحادثة بالذات ؛ لأن رسول الله ﷺ قد تعرض لأكثر من حادثة شق الصدر فلا يمكن تحديد أثر أي حادثة بقي على صدره ﷺ الأولى أم الآخرة ، وقد وضح النووي مدلول مفردة المخيط على أنها الإبرة .

وتجدر الإشارة إلى أمر آخر هو غسل قلبه ﷺ بماء زمزم والحادثة جرت في بني سعد ، ومعلوم ان الأمر كله كان معجزة فشق الصدر واستخراج القلب ثم إعادته مكانه أغرب من أن يجلب ماء زمزم بطست من ذهب من مكة إلى بني سعد، لكن إذا لم يكن رسول الله ﷺ هو مصدر المعلومة فمن الذي عرف ان الماء ماء زمزم ؟ ويبدو والله تعالى أعلم ان رسول الله ﷺ حدث عن شق صدره وهو كبير وذكر ان صدره غسل بماء زمزم، ومن ذلك حصل تداخل في الحديثين ، كما يؤشر على هذه الرواية أنها لم تذكر عمر رسول الله ﷺ بالتحديد عندما حدث له شق الصدر الأول .

أما ما أورده المؤرِّخون في هذه الحادثة فقد قدموا اثنتي عشرة رواية لم يوافق منها رواية مسلم إلا روايتان، إحداها عند ابن سعد والثانية عند الفاكهي ، أما بقية الروايات فوافقتها في المضمون واختلفت عنها في التفاصيل، فرواية ابن سعد التي يلتقي سندها مع سند رواية مسلم عند حماد بن سلمة ثم يتطابق السند ، فهي موافقة لرواية مسلم إلا قوله: (أتاه آت) بدل قول مسلم (أتاه جبريل عليه السلام) ، أما رواية الفاكهي، التي يلتقي سندها هي الأخرى عند حماد بن سلمة مع سند رواية مسلم ويلتقي سندها مع سند رواية ابن سعد عند عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة، فهي موافقة لرواية مسلم تماماً .

أما رواية الزهري فهي الوحيدة التي لم يذكر لها سنداً ، وحدد فيها سن رسول الله ﷺ بقوله عند أول سعيه وأن أخته من الرضاعة كانت تحضنه فكانت الشاهد على الحادثة ، فجاءت فأبلغت أمها بما حدث له ﷺ ، وتصف الذي حصل بأن رهطاً أخذوا أخاها وتقصد رسول الله ﷺ فشقوا بطنه حسب وصفها ، وإن أمه هرعت إليه فإذا هو جالس منتقعاً لونه ولم ترى عنده أحداً فارتحلت به حتى أقدمته على أمه ، ولم تذكر الرواية ان قلبه غسل بالماء ، وقالت بطنه ولم تقل صدره .

ولابن اسحاق ثلاث روايات في هذه المسألة أولها رواية عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم سألوه عن نفسه فأجابهم " واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع أخي في بُهْمٍ لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقة سوداء ، فالقياها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا أنقياه رداه كما كان ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنتهم ، فقال دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم " ، وهذه

الرواية تخالف رواية مسلم بأن رسول الله ﷺ هو الذي يروي ما حدث له في تلك الحادثة ، وقال أتاني رجلان ولم يقل أتاني جبريلعليه السلام كما في رواية مسلم، وقال شق بطني ولم يقل شق صدري ، وذكر أنه استخرج من قلبه علقة سوداء ولم يذكر مسلم لون العلقة ، وفي هذه الرواية غسل قلبه ﷺ بالثلج ولم يقل بماء زمزم ، وهنا ذكر مسألة زنته برجال من أمته عشرة ثم ألف ولم يذكر ذلك مسلم ، وهنا لم يذكر أثر المخيط في صدره ﷺ كما ذكره مسلم من قول أنس بن مالك .

أما الرواية الثانية لأبن اسحاق عن عبدالله بن جعفر الذي رواها عن مجهول بقوله حُدثت ، فحدد سِنَّهُ ﷺ عندما حدث له شق الصدر بسنتين وشهرين أو ثلاثة أشهر ، وسياق الحديث يدل على ان الكلام لحليمة السعدية التي أكدت ان الذي نقل الخبر أخ له من الرضاعة كان في بُهْمٍ لهم خلف بيوتهم ، فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه ، وتكمل الحديث فخرجنا أنا وأبوه أي زوجها فنجده قائماً مستنقعاً لونه ، ويستعلم الرجل من رسول الله ﷺ عما حصل له فيجيبه أن جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان ، وتكمل الرواية بأن رداه إلى دارهما ثم رداه إلى أمه في مكة بعد ان أخبراها خبره فذكرت لهما ما رأت عند حملها به وما حصل عند ولادته .

وإذا عدنا للمقارنة بين هذه الرواية ورواية مسلم ، فإن العمر هنا محدد بدقة سنتان وشهران أو ثلاثة ، وهنا قال استخرجا شيئاً لم يحدد ما هو ، وقال شقا بطني، وأن الذي أتاه رجلان ولم يحدد انه جبريل عليه السلام ولم يذكر غسل بطنه وقلبه بماء زمزم أو بالثلج كما عند غير مسلم .

وفي الرواية الثالثة شيء من الإبهام فلم يذكر في سندها ابن اسحاق كما أعتاد في ذكر سند الروايات ، ولم يذكر في متنها أي شيء يدل على زمنها لاسيما وقد علمنا أن هناك أكثر من حادثة من هذا النوع ، والرواية عن رسول الله ﷺ فقال : " ان ملكين جاءاني في صورة كركيين معهما ثلج ماء بارد فشرح أحدهما صدري ومج الآخر منقاره فغسله " .

ولابن هشام روايتان في هذه المسألة ، الأولى مطابقة لرواية ابن اسحاق الأولى سنداً ومتناً بالضبط، والثانية من رواية عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهي مطابقة لرواية ابن اسحاق عن نفس الراوي كما تقدم ذكرها.

وكذلك ابن سعد أورد روايتين الأولى من رواية الواقدي عن أصحابه جاء فيها : "ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريب من الحي فأتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب"، هذه الرواية خالفت ما سبقها من الروايات في سن رسول الله ﷺ عندما شق صدره وهو صغير فقد جعله أربع سبين في حين جعله غيره سنتان وشهران أو ثلاثة أشهر، والأمر

الآخر قال ملكان ولم يصرح من هما، وكذلك لم يصرح إنهما شقا قلبه بل قال شقا بطنه فحسب ، وقال استخرجا علقة سوداء ولم يقل من قلبه ، وأكد أن غسل بطنه كان بماء الثلج ولم يقل بماء زمزم .

وروايته الثانية كانت مطابقة لروايتي ابن اسحاق الأولى وابن هشام الأولى أيضاً، وابن سعد رواها من طريقين، فهي موافقة للروايتين من ناحية السند ومن ناحية المتن.

وجاء في رواية اليعقوبي التي أوردها من غير سند انه كان من شأنه ﷺ ان أتاه الذي أتاه في صورة رجل ولم يسمه وجعله واحداً فشق عن بطنه وغسل جوفه أي انه لم يذكر شيء عن شق القلب واستخراج العلقة ، وذكر ان له من العمر أربع سنين أو خمس وهو في خلق ابن عشر وقوته.

وأورد الطبري رواية واحدة كذلك من غير سند ، جاء فيها " كان رسول الله ﷺ من قبل ان يظهر له جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ، فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشقا بطنه واستخرجا ما فيه الغِلَّ والدنس، وهو عند أمه من الرضاعة حليمة " ، من الغريب أن يورد الطبري وهو أمام التفسير والمؤرخ هذا القول (استخرجا ما فيه من الغل والدنس) ، فهو ﷺ طفل رضيع من أين أتاه الحقد الكامن ؟ ومتى تدنس باطنه ؟ فضلاً عن كونه المجتبى من بين الخلق المختار للنبوة ، المحاط بالعناية الإلهية ، ان قول الطبري إن أراد به تنقية باطن رسول الله ﷺ من الغل والدنس ، يؤكد في الوقت نفسه إن باطنه ﷺ كان قبل أن ينقى فيه من الغل والدنس ، وكان حري به أن يقول استخرج منه محل وقوع الغل والدنس من أجل أن لا يقع في باطنه.

وعليه فإن من أورد روايات في هذه الحادثة اتفقوا ان حادثة شق الصدر أو البطن وقعت له ، واتفقوا انها وقعت في بني سعد عندما كان ﷺ مسترضعاً عندهم ، واتفقوا على انه استخرج من جوفه شيء ما ، وغسل جوفه، واختلفوا في ان الصدر أو البطن الذي شق، وبعضهم ذكر استخراج القلب وشقه ولم يذكره بعضهم الآخر، واختلفوا في سنه ﷺ عند وقوع الحادثة له ، واختلفوا في نوعية الماء الذي غسل فيه جوفه فبعضهم قال انه ماء زمزم وآخرين جعلوه ماء الثلج ، واتفقوا على ان غسل الجوف أو القلب كان بطست من ذهب .